الأستاذ محمد كرد علي والهند (١)

الأستاذ مختار الدين أحمد

حضرة صاحب السيادة رئيس الحفل الكريم ، أصحاب المعالي ، سيداتي وسادتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أحييكم بتحية الأخ الأخوة ، وأحييكم بتحية الصديق للأصدقاء ، وأحييكم بتحية العلم للعلماء ، وأحمل تحيات إخوان لكم في الهند ، يكنون لكم كل تقدير واحترام وإجلال .

إنه ليشرفني بأن أمثل بين أيديكم في دمشق ، عاصمة بني أمية العظيمة وبلد العلم والثقافة والحضارة ، ومدينة الخير والبركة والسلام والوئام ، ومركز اللغة العربية وآدابها ، مدينة فيها مجمع اللغة العربية ، أسسه المغفور له الأستاذ محمد كرد علي الذي نحتفل بعيد ميلاده المئوي فأسدى بذلك خدمات جليلة عظيمة للعلم واللغة والأدب والحضارة ، ولا يزال هذا المجمع يؤدي رسالته بصدق وأمانة ووفاء برئاسة سعادة الدكتور حسني سبح المكرم ومعاونة زملائه الغر الميامين .

---

(١) كان الأستاذ مختار الدين أحمد أحد الذين دعوا للمشاركة في مهرجان الذكرى المئوية لولادة الأستاذ محمد كرد علي ، وقد حالت الظروف دون تلبيته الدعوة . وهذه كلمته التي كان أعدها لهذا الاحتفال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إن دمشق عرفت منذ القدم بجمالها وخضرتها وغوطتيها وعذوبة مياهها ، وخصوبة أرضها ، وطيب هوائها ، ونبل أخلاق سكانها ، وأريحية مواطنيها ، اشتهرت بنشر اللغة والعلم والثقافة والحضارة والمدنية ؛ وكانت قد أضاءت الدنيا بنورها المشرق الوضاء ، ولم تكن الهند قليلة الحظ من ذلك ، إذ نشأ بين الهند وبين بلاد الشام روابط أخوية وصلات علمية ووشائج ثقافية وأواصر حضارية من قديم الزمان ولا تزال .

وفي هذا المجال لم يكن الأستاذ كرد علي غريباً عنا في الهند ولا أجنبياً ، فإنني أذكر أنني سمعت هذا الاسم الجميل الوقع في أيام طلبي للعلم في جامعة عليكرة الاسلامية ، من أستاذي وشيخي عالم اللغة العربية الكبير والمحقق الباحث العظيم الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين الميلاد (١٩٤٩ م) إذ كان يذكر خلال دروسه وفي مجالسه الخاصة رحلته إلى دمشق واجتماعه فيها مع العلماء ولقاءه مع الأستاذ كرد علي ومكانته العلمية ونشاطاته الأدبية وأعماله المتواصلة الدائبة ، وكان الحديث مملوءاً بالحب والتقدير بحيث تمكن في قلبي منذ شبابي حب الأستاذ وتقدير مكانته العليا المرموقة .

وعندما سنحت لي الفرصة المؤاتية بدأت أقرأ مؤلفات الأستاذ رويداً رويداً فاستفدت منها كثيراً جداً ، وأعجبت بأسلوبه العلمي الأدبي الشيق الجذاب ، وتحليله الدقيق الرائع للآراء والأفكار ، ونقده اللاذع للنزعات والاتجاهات المعادية للطرق الصحيحة والمذاهب السليمة ، ويتجلى ذلك في بيانه المبتكر الساحر وعبقريته وقدرته التامة على التعبير ؛ ألم يقل في ذلك الأستاذ شفيق جبري :

« لاريب في أن بيان محمد كرد علي أبرز ناحية من نواحي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عبقريته ، فكيف اهتدى إلى هذا النمط من البيان ؟ لقد اختمرت في صدره أساليب بلغاء العرب وأمراء الكلام فالأسلوب الذي صور به جملة من تاريخنا وأخلاقنا وعاداتنا وطبائعنا واجتماعنا وأدبنا إنمـــا هو خلاصة أساليب عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وابن عبـد ربه من أئمة الأدب والغزالي وابن خلدون وأضرابها من رجال الفلسفة والاجتماع والعمران ، اختمرت أساليب هذه الطبقة في ذهنه بعد ممارسة طويلة لمذاهب بيانهم وبعد إعمال الروية في محاسن بلاغتهم وملء الفكر من روائع فنهم ولغتهم فنشأ عن هذا الاختمار أسلوب خاص بكرد علي فيه آثار كثيرة من روح هذه الطبقة من البلغاء الذين عاشرهم وخالطهم كل حياته ، وقد تناسقت هذه الآثار تناسقاً بديعاً وانسجمت انسجاماً غريباً بحيث تكاد تضيع علينا مصادرها ، فقد تجتمع في بعض الأحيان في أسلوب كرد علي بلاغة الجاحظ وطبع ابن المقفع وسهولة الغزالي وابن خلدون فتلتحم هذه الأمور كلها التحاماً متقناً فلا نجد فيها إلا السهولة والبساطة ومثلها في ذلك كمثل الشعاع من الشمس فإنا إذا نظرنا إلى هذا الشعاع فلا نرى إلا لونه الأبيض ولكنا إذا رددناه إلى أصوله وفككنا أجزاءه اهتدينا إلى مختلف الألوان التي تؤلف الطيف الشمسي » ويقول:

« ولكن هـــذا البيان الرائع في أكثره قد عملت فيـه عوامل ثانية غير الذي ذكرناه ، فلسنا نشك في أن عناية كرد علي بمطالعة كثير من كتب الافرنجة كان لها أثر كبير في أسلوبه فقد أعطته هـذه الكتب في كثير من مواطن كلامه دقة في التعبير ووضوحاً في التصوير فأضيفت هذه الخصائص إلى خصائص أعطته إياها كتب البلغاء من العرب فازداد رونقها وعظمت روعتها ... »(١) .

(١) محاضرات عن محمد كرد علي ص ١٠١ — ٣ وما بعدها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد استقرت في ذهني صورة الأستاذ كرد علي على أنه عبقري نابغة وشخصية فذة قدمت ذخائر فكرية ودراسات أدبية وعلوماً إسلامية لاتزال تفتخر بها مكتبات العالم العربي والاسلامي ، والأوساط الادبية والعلمية في العالم .

سادتي الكرام :

إن مؤلفات الاستاذ كرد علي التي استفدت منها والتي تدرس في بلاد الهند خاصة هي :

١ — الاسلام والحضارة الأوربية ، ٢ . أمراء البيان ، ٣ — خطط الشام ، ٤ — رسائل البلغاء ، ٥ — غابر الأندلس وحاضرها ، ٦ — غوطة دمشق ، ٧ — كنوز الأجداد .

وإن العلماء القدامى والمعاصرين في الأوساط الجامعية والمؤسسات العلمية قد استفادوا من مؤلفاته كثيراً واقتبسوا وترجموا منها فصولاً وأبواباً كالعلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله والأستاذ الشريف أبي الحسن علي الحسني الندوي ، والشيخ مسعود عالم الندوي ، والشاه معين الدين أحمد الندوي الذي رجع إلى كتبه في تأليف كتابه تاريخ الاسلام ، واقتبس قطعاً في كتابه من مؤلفه العظيم : « غابر الأندلس وحاضرها » خاصة .

وقد قررنا هذه السنة بمناسبة عيد ميلاد الأستاذ كرد علي المئوي بأن نعد كتابين عن الأستاذ من قبل قسمنا العربي في جامعة عليكرة الاسلامية ، بالهند ، وهما :

١ — كتاب عن حياته ، وعصره ، ومآثره ، ومؤلفاته ، وسيكون ذلك موضوع رسالة الدكتوراه لواحد من طلابنا ، تحت إشرافي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ – ترجمة أحسن مؤلفات الأستاذ وأشهرها إلى اللغة الأردية ، ليتمتع بها من نفحاته العلمية وآرائه القيمة وعذوبة قلمه السيال وأفكاره النيرة ، الأشخاص الذين لا يعرفون اللغة العربية في بلادنا .

ومما لا يشك فيه اثنان أن الأستاذ محمد كرد علي قد أفاد كثيراً ، وقدم منجزات مبتكرة لم يتمكن كثير من العلماء والأدباء في هذا العصر أن يتقدموا بمثلها ، وقد قام بهذه الدراسات التحليلية والمؤلفات القيمة في ظروف شديدة قاسية لا نحتاج إلى إلقاء الأضواء عليها .

أسس هذا المجمع الذي تعتز به وبانجازاته الأوساط الادبية والعلمية في وقت لم يكن واحد من معاصريه يفكر بذلك ويتصور بأن يحالفه التوفيق والنجاح ، فقد كان الاستعمار الفرنسي يدق أبواب دمشق ونيران مدافعه تحرق كل رطب ويابس ، ولكن هذا العبقري الفذ شمر عن ساق الجد ، وعاش في جو علمي وأدبي مجت مع زملائه في ركب العلم والأدب والإنشاء والثقافة والحضارة ، ونحن نرى اليوم ثمار فكره وعلمه المتواصل الدائب ، ونتائج هذا المجمع وذخائره الفكرية العظيمة التي لا نكاد نصدق بأنها غراس رجل واحد بل إنها عمل أمة كاملة .

إنني أشعر بغاية البهجة والغبطة والسرور بأن أرى هذا الاحتفال العظيم يعقد تذكاراً وتقديراً لعالم وأديب ولد في بلاد الشام وأشرق العالم العربي الإسلامي كله بنور علمه وجمال أدبه وحسن بيانه ، فليس هذا تقديراً له واحتفالاً بعيد ميلاده المئوي من الجمهورية السورية العربية فحسب بل إنه تقدير من الأوساط العلمية الادبية العالمية بأسرها .

إنني أبارك فيكم هذه الروح العلمية العظيمة ، وأهنئكم عني وعن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بلادي الهند ، وأن الشعب الهندي ليسر كثيراً بعد الاستماع إلى الحديث عن هذا الاحتفال الكبير .

أعود فأتقدم أخيراً بالتهاني الحارة الخالصة إلى القائمين بهذا الاحتفال وإلى سيادة رئيس مجمع اللغة العربية وزملائه ، وإلى حكومة الجمهورية العربية السورية التي تولت الإشراف على هذا الاحتفال العظيم .

وأتقدم بالشكر الجزيل إليكم جميعاً بأنكم أتحتم لي هذه الفرصة الثمينة القيمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مختار الدين أحمد
عميد كلية الآداب ورئيس قسم اللغة العربية
بجامعة عليكره الاسلامية ـ الهند

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net